سورية الحضارة

ماذا أعطت إلى الغرب...؟

الدكتور عفيف بهنسي

سورية الحضارة

ماذا أعطت إلى الغرب..؟

الدكتور عفيف بهنسي

الكتب الفنية المنشورة باللغة العربية

للدكتور عفيف البهنسي

اسم الكتاب	الناشر	التاريخ	عدد الصفحات
١- الفنون التشكيلية في سورية	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٦٠	١٠٠/ملون
٢- الفن عبر التاريخ	الفن الحديث العالمي	دمشق ١٩٦٠	٢٠٧ ملون
٣- قضايا الفن	الفن الحديث العالمي	دمشق ١٩٦٢	١١٠
٤- ميكل انجلو	الفن الحديث العالمي	دمشق ١٩٦٢	١٥٠ مصور
٥- اتجاهات الفنون التشكيلية المعاصرة	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٦٢	١٤٠ مصور
٦- رامبرانت	المجلس الأعلى لرعاية الفنون	دمشق ١٩٦٤	٦٤ مصور
٧- الفن الحديث في سورية	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٦٤	٤٠ ملون
٨- الفن والقومية	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٦٥	١٩٤
٩- تاريخ الفن في العالم	جامعة دمشق	دمشق ١٩٦٦	٦٤٨ ملون
١٠- الفن الإسلامي	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٦٨	٢٩٢ ملون
١١- أثر العرب في الفن الحديث	المجلس الأعلى لرعاية الفنون	دمشق ١٩٧٠	٣٠٨ ملون
١٢- علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي	وزارة الإعلام/السلسلة الفنية	بغداد ١٩٧٢	١٥٦ مصور
١٣- الفن والثورة	وزارة الإعلام/السلسلة الفنية	بغداد ١٩٧٣	٢١٠ مصور
١٤- الأسس النظرية للفن العربي	الهيئة المصرية للكتاب	القاهرة ١٩٧٤	٢٤٠ مصور
١٥- جمالية الفن العربي	سلسلة عالم المعرفة (١٤)	الكويت ١٩٧٩	٢٣٨ ملون
١٦- الفن الحديث في البلاد العربية	اليونسكو - دار الجنوب للنشر	تونس ١٩٧٩	٢٢٣ ملون
١٧- الشام - لمحات فنية وآثارية	وزارة الإعلام - دار الرشيد	بغداد ١٩٨٠	٢٣٥ مصور
١٨- معجم مصطلحات الفنون (ثلاثي اللغات)	مجمع اللغة العربية	دمشق ١٩٧٢	٤٠٠ مصور

٢٠. الفنون القديمة	دار الرائد العربي	بيروت ١٩٨٢	٤٥٩ ملون
٢١. الفن في أوربا	دار الرائد العربي	بيروت ١٩٨٢	٤١١ ملون
٢٢. الفن والإستشراق	دار الرائد العربي	بيروت ١٩٨٣	٣٠٨ ملون
٢٣. الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه	دار الفكر	دمشق ١٩٨٣	١٧٥ ملون
٢٤. الخط العربي	دار الفكر	دمشق ١٩٨٤	١٦٠ ملون
٢٥. وثائق إيبلا	مطبعة الثقافة	دمشق ١٩٨٤	١٧٤ مصور
٢٦. رواد الفن في البلاد العربية	دار الرائد العربي	بيروت ١٩٨٤	٢٠٠ ملون
٢٧. الفن الإسلامي	دار طلاس	دمشق ١٩٨٧	٦١٠ ملون
٢٨. الثورة الثقافية العربية	المنشأة العامة للنشر والتوزيع	طرابلس ١٩٨٥	٢١٦
٢٩. الشام الحضارة	مطبعة الثقافة	دمشق ١٩٨٦	٢٩٣ مصور
٣٠. العمارة عبر التاريخ	دار طلاس	دمشق ١٩٨٧	٣٠٠ مصور
٣١. فلسفة الفن عند أبي حيان التوحيدي	دار الفكر	دمشق ١٩٨٧	١٢٨ مصور
٣٢. سورية الحضارة ماذا أعطت للغرب	مطبعة الثقافة	دمشق ١٩٨٥	٥٠ مصور
٣٣. الجامع الأموي الكبير	دار طلاس	دمشق ١٩٨٨	٢٠٨ ملون
٣٤. العمارة العربية	المجلس القومي للثقافة العربية	الرباط ١٩٩١	٢٥٠ ملون
٣٥. دمشق الشام	دار الجنوب	تونس ١٩٨٠	٢٢٠ ملون
٣٦. القصور الأموية	وزارة الثقافة	دمشق ١٩٨٧	٩٠ مصور
٣٧. الفن الإسلامي بالاشتراك مع ميكل روجرز ونورهان أتاسوي (أربع لغات)	طبع اليونسكو	باريس ولندن ١٩٨٧	٢٣٠ ملون
٣٨. معجم العمارة والفن (إنكليزي)	مكتبة لبنان ـ ناشرون	دمشق ١٩٩٤	٢٠٠ ملون
٣٩. معجم العمارة والفن (فرنسي)	مكتبة لبنان.ناشرون	دمشق ١٩٩٤	٢٠٠ ملون
٤٠. معجم الخط والخطاطين	مكتبة لبنان.ناشرون	دمشق ١٩٩٥	٢٠٠ ملون
٤١. خطاب الأصالة في الفن والعمارة	المجلس القومي للثقافة العربية	الرباط ١٩٩٧	ملون ٣٠٠ ص
٤٢. الحفريات وسراب التاريخ التوراتي	المجلس القومي للثقافة العربية	الرباط ١٩٩٧	ملون ٢٠٠ ص
٤٣. الفكر الجمالي عند التوحيدي	المجلس الأعلى للثقافة	القاهرة ١٩٩٧	ملون ١٧٥ ص
٤٤. الجامع الكبير بصنعاء	جمعيةالدعوة الإسلامية	طرابلس ليبيا ١٩٩٦	ملون ٢٥٠ ص
٤٥. تاريخ دمشق العمراني	دار الفكر	دمشق ١٩٩٨	ملون ٣٠٠ ص
٤٦. موسوعة التراث العماري	المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم	الرباط ١٩٩٨	ملون ١٠٠٠ص
٤٧. من الحداثة الى ما بعد الحداثة في الفن	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	ملون ١٧٠ ص
٤٨. الفن العربي بين الهوية و التبعية	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	ملون ١٧٠ ص
٤٩. روائع العمارة والفن في العالم	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	ملون ١٠٠٠ص
٥٠. العمران الثقافي	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	١٦٠ص
٥١. النقد الفني وقراءة الصورة	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	١٦٠ ص ملون
٥٢. الجمالية الإسلامية في الفن الحديث	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	٣٧٠ص ملون
٥٣. الألواح الخزفية	دار الكتاب العربي	القاهرة ـ دمشق ١٩٩٧	١٨٠ص ملون
٥٤. جمالية الزخرفة العربية	مكتبة لبنان ـ ناشرون	بيروت ١٩٩٨	١٦٠ص ملون

☆ ☆ ☆

مقدمة

المكتشفات الاثرية من كتابات أو شواهد فنية، حددت مكانة سورية الحضارية وأثبتت أن هذا القطر بحدوده الشامية قد قدم إلى الانسانية ومنذ بداية التاريخ انجازات حضارية متقدمة، ولم يكن في حضارته أقل شأناً من حضارتي الرافدين والنيل.

وتمتد حضارة سورية منذ الالف الثالث قبل الميلاد، وكانت سورية في جميع مراحل التاريخ، وبحسب موقعها الجغرافي، على اتصال مستمر مع العالم المحيط بها.

ومنذ أن بدأ الغرب حضارته، في عهد الاغريق والايتروسك، كانت سورية أول معين لبناء هذه الحضارة، فقدمت له العقائد والكتابة والموسيقى، ثم شاركت سورية بحكم العالم الروماني، وكان لها دور في نشر المسيحية، وتدخلت من خلال اسبانيا في نهضة جزء من أوربا التي كانت غارقة في ظلام القرون الوسطى. ثم لعبت سورية دورها في صدر الاسلام عندما كانت دمشق عاصمة الامويين، وخلال الغزو الصليبي انتقلت إلى الغرب كثير من مظاهر حضارتها.

PUBLICATIONS FRANCAISES ET ANGLAISES

PAR: DR. AFIF BAHNASSI

1- Damas Al Sham	Tunis	ed.sud	1981
2- Damascus	Tunis	ed.sud	1981
3- En Syrie	Paris	ed.Hachette	1986
4- Der Alte Syrien und Seine Kunst The Ancient Syria And its Arts La Syrie Ancienne et son art V E B E.A. Seeman verlag		Leipzig	1987
5- Guide to Syria	Damascus	pr. Salhani	1987
6- Ebla Archaives	Damascus	ed. Tlass	1989
7- The Great Omayyad Mosque of Damrscus	Damascus	ed. Tlass	1990
8- The Syria of culture	Damascus		1987
9- L'art plastique Moderne en Syrie	Damascus	Culture Min.	1964
10- La Grande Mosquee de Damas.ed.Tlass		Damascus	1990
11- L'Art Moderne Dans les Payées Arabes		Paris-Unesco	
12- Art of Islam	Paris-Flammarion- Unesco- Paris		1991
13- L'Art De L'islam	Paris Flammarion Unesco Paris		1991
14- Damas	Damascus	Arts & Architecture	1992
15- Damascus	Damascus	Arts & Architectture	1992
16- Alep	Damascus	Arts & Architecture	1992
17- Aleppo	Damascus	Arts & Architecture	1992
18- The Mosque of Damascus	Damascus-Arts & Architecture		1992
19- Siria	ed. Futuro di Vinco 1990 de. Lorentis- Verona		

الأبجدية السورية في الكتابة الغربية

ولكي نبدأ الحديث عن سورية الحضارة وما أعطته إلى الغرب، لابد أن نتحدث أولاً عن الابجدية التي ابتكرها السوريون القدماء ونقلوها إلى الغرب.

في عام ١٩٣٣، عثر في مدينة أوغاريت «رأس الشمرة» قرب اللاذقية على رقيم صغير الحجم يحوي عدداً من الصيغ المسمارية وعددها ثلاثون شكلاً، تبين بعد الدراسة والتدقيق أن هذه الاشكال المسمارية ما هي الا حروف أبجدية لم يعرف لها نظير، بل لقد تأكد للباحثين أن هذه الابجدية هي الاولى في العالم وأنها ترجع الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد.

وكان العالم مونتيه قد عثر عام ١٩٢٢ على أبجدية أخرى في جبيل منقوشة على ضريح أحيرام وترجع إلى زمن لاحق.

وعلى الرغم من أهمية ضريح أحيرام هذا، والذي يرجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد إذ يمتاز برسوم نافرة جميلة تمثل احيرام والد ايشوبعل ملك صور أو جبيل الذي صنع الضريح له، وأمامه رتل من الباكيات الناحبات والعابدات، وبعضهن يمزقن ثيابهن علامة الحزن، فإن أهميته التي اشتهر بها ترجع في الواقع إلى النص المكتوب عليه بأحرف أبجدية مازالت تعتبر حتى الآن الشكل الأولي للأحرف الأبجدية العربية واللاتينية.

وكان الكنعانيون وهم قدماء العرب السوريين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، قد تبنوا منذ العصور الأولى الكتابة التي نراها في اوغاريت، حيث كان من المألوف هناك استعمال الكتابة المسمارية التي كانت منتشرة في بلاد الرافدين، والتي استمرت وسيلة الاكاديين والعموريين العرب القدماء ثم سكان اوغاريت من الكنعانيين، وكان لابد من استعمال هذه الكتابة بسبب طريقة النقش على الواح الطين بمسمار خاص، ولكن المهم في اوغاريت أنهم قد استعملوا الكتابة المسمارية على الرقم الفخارية التي كانت غير أبجدية

كالكتابة الصينية، ثم قاموا بحذف كثير من الاشارات التي كانت تلازم الكلمات ذات الدلالة الصوتية المختصرة، واكتفوا بصورة تناسب الصيغة الصوتية، فكانت الحروف الابجدية الأوغاريتية وعددها ثلاثون حرفاً، وهي أول أبجدية في العالم، ويقول أحد الباحثين «جورج بيرو»:

«إن ابتكار الأبجدية كان حدثاً هاماً جداً لا يمكن مقارنته بأي حدث آخر في تاريخ الجنس البشري، وهو أعظم من ابتكار الطباعة، إذ أن تحليل الكلام وارجاعه الى عناصره الاولية يحتاج إلى عمل فكري عظيم.».

على أن نقش احيرام يقدم لنا أبجدية كاملة مقروءة ومفهومة بوضوح، ذلك أن كل حرف يعتمد بصيغته وشكله على دلالته المادية لأشياء معروفة، فإذا كانت الاشارة يمكن أن تترك بعض الشك في هويتها بالنسبة للشكل المادي الذي يمثله الحرف، فإن اسم هذه الحروف يسعفنا في تثبيت هذه الدلالة.

وتسميات الحروف باللغات الكنعانية أو الفينيقية في ذاتها هي تسميات الحروف العربية لوحدة اللغتين، وهي تبين أن الحرف الأول «كما تراه في الجدول المرفق» يسمى ألف، وتعني البقرة، ويرمز إليها بما يوضح خصائص البقرة، وهو الرأس ذو القرنين، وأن بيتا «الباء» وتعني المنزل أو البيت كما هو واضح ورمزها مخطط غرفة أو صحن دار، وجميل «الجيم» أو الجمل ويمثل بسنم، وداليت «الدال» وتعني الدلاية أو مطرقة الباب وتأخذ هذا الشكل، وياء «الياء» وتعني اليد ورمزها الزند والساعد، وكوف «الكاف» وتعني الكف ورمزها مشابه لكف اليد، وراس «الراء» وتعني الرأس وتحمل شكل الرأس، وسن «السين» وتعني السن ويأخذ الحرف شكلاً مضرساً، وماء «الميم» وتعني الماء وتتجلى بشكل متموج، وهكذا..

ولقد انتقلت هذه الأبجدية إلى الكتابة الآرامية والنبطية، ومن ثم إلى العربية الأولى ثم العربية الحديثة.

كذلك انتقلت إلى الأحرف الاغريقية واللاتينية كما يبدو ذلك جلياً من الجدول المرفق.

ويقول المؤرخون، ان قدموس شقيق أوروبا وقد مضى الى بلاد اليونان

باحثاً عن أخته، وبعد أن وصل الى (بيوتي) أنشأ مدينة (طيبة) شمالي اثينا، وقام هناك بتعليم الناس أبجدية الكنعانيين، واستمرت هذه الابجدية مستعملة مع بعض التحوير، وحاملة نفس التسميات الكنعانية القديمة، ثم انتشرت هذه الابجدية في جميع الكتابات الغربية بعد ان تبناها الرومان.

ولقد عثر على نقد برونزي من عهد الامبراطور غاليان يحمل في احد وجهيه صورة قدموس يعلم أهل طيبة الاحرف الابجدية الفينيقية، وهذا النقد محفوظ حالياً في المكتبة الوطنية في باريز.

ولقد كتب هير ودوت (ق ٥ ق. م): «ان الفنيقيين القادمين مع قدموس (ابن أجينور) جلبوا إلى الاغريق معارف كثيرة ومنها الحروف التي لم يكونوا يعرفونها. وكان القدموسيون يستعملونها بادىء الأمر بشكلها الفنيقي المألوف. ومع الوقت ادخلوا عليها بعض التغييرات كما غيروا ايضاً في لسانهم، وانئذ كان اكثر الاغريق الذين يحيطون بالفنيقين من الايونيين. فتعلموا منهم الحروف واستعملوها محرفة قليلاً ولكنهم استمروا على تسميتها بالكتابة الفنيقية (تاريخ هيرودوت ج ٥ ف ٥٨). ولقد أدخل الاغريق الاوائل على هذه الحروف، الحروف الصوتية.»

وحوالي عام ٨٠٠ ق. م ظهر الاتروسكيون في شمالي ايطاليا، ويعود اصلهم الى الساحل السوري وكيليكيا، وقد نقلوا نفس الابجدية الى الرومان وبدت باللغة اللاتينية، وقام كيريللوس بالاستفادة من هذه الحروف لوضع اسس الكتابة السلافية.

أصل الموسيقى الغربية

لم يكن اللوح الطيني الصغير الذي اكتشف في رأس الشمرة (اوغاريت) والذي يحوي أول أبجدية في التاريخ هو وحده الاكتشاف الاقدم الذي عرفنا على تأثير حضاري سوري واسع النطاق على العالم، بل أن هذا الموقع الاثري

قدم لنا الواحا أخرى، تحوي أول أغنية في العالم، إذ ترجع إلى عام ١٤٠٠ ق. م، أي قبل ألف عام من أقدم قطعة موسيقية عرفها الغرب، وهي قطعة اوريستيس المسرحية الموسيقية التي ألفها يوريبيدس أعظم شعراء المأساة الاغريقية. ولقد أبانت ألواح رأس الشمرة الموسيقية أنها أساس علم الموسيقى الغربي الذي أقامه فيثاغورس عام ٥٠٠ ق. م إذ أنها تقوم على السلم السباعي الدياتوني. ولقد أدى هذا الاكتشاف على حد قول الدكتورة كيلمر إلى احداث تغيير أساسي في تحديد عمر وتاريخ الموسيقى الغربية.

وهذه القطعة الموسيقية والتي تتضمن أغنية حب بين الآلهة، قد جرى عزفها مؤخراً على قيثارة استصنعت خصيصاً، وهي قيثارة مشابهة لتلك التي ترجع إلى نفس العهد، كان قد اكتشفها عالم بريطاني في مدينة أور في العراق.

وقام العازف كروكر بعد تمرين استمر عشر سنوات بعرض القطعة الموسيقية في حفل كبير بجامعة بيركلي، أثار اعجاب الحاضرين ودهشتهم من أنهم يسمعون أصول موسيقاهم منذ أربعة آلاف وخمسمائة عام.

اسطورة أوربا

وثمة قصة رائعة هي من عيون الادب العالمي، هي قصة الاميرة السورية اوربا وكيف سميت هذه القارة باسمها، حكاها شاعر من الاسكندرية، هو (موسيخوس) في القرن الثاني الميلادي، ونسبها إلى الاغريق.

وتاريخ الاغريق اساطير، والاسطورة كانت حكاية يمتزج فيها الخيال بالواقع، ولم يكن التاريخ تاريخاً ما لم يكن شعراً، وهكذا كانت الياذة هوميروس هي تاريخ الاغريق بكل خرافاته وخيالاته واساطيره.

كان في بلاد كنعان (أي الاراضي الواطئة) من بلاد الشام ملك اسمه

اجينور أو اشنار يحكم من بلاد كنعان منطقة اسمها فنيقا، (والاسم من فينقوس ابن اجينور ، أولعله من الارجواني، فينقر ادفوني، أوهو من شجر الارز).

وأجينور هذا لم يكن ملكاً عادياً، بل كان ابن اله، فأبوه بوزيدون اله البحر ويسميه الكنعانيون (يم)، وأمه ليبيا التي أوجدت قارة افريقيا واعطتها اسمها اولاً.

أما اولاده فهي ابنته اوربا التي اعطت اسمها إلى القارة الاوربية، وقدموس الذي أعطى اسمه إلى قادميا في بلاد اليونان.

ونسمع الشاعر يتحدث كيف أعطت الاميرة السورية هذه القارة اسمها، وكيف انتقل هذا الاسم مجسداً بشخص هذه الفاتنة الساحرة اوربا بنت اجينور.

اوربا بنت اجينور

«الفصل ربيع والليل يكسوه ضياء أقمر
والأرض خميلة خضراء والزهر وشاح أحمر
وعبير أرض كنعان يضمخ وجهها الاسمر
هي (أوربا) وقد امتدت بجسمها اللدن على سرير
وكانت ساهدة لا يدركها النوم الاسير
هي اميرة اثيرة والدها أجينور الشهير
ملك فينيقيا الذي طوف في الافاق البعيدة
طاف البحر الابيض على سفن سعيدة
وكانت هي تحلم بالابحار على ناصية عربيدة
إلى أرض لم يعرفها بعد الا كائن جسور
ولا رآها قبل فاتح ولا عمرها اجبنور
واقلقها حلمها لكنها تابعته بلفهة وغرور

فلعل الآلهة وفوقها زفس الجبار العظيم
قد جاءها في حلمها بصورة كائن دميم
وقال لها كوني قارة عظمى يا ابنة اجينور العظيم

وفاقت فاتنة العالم من حلمها مع الفجر
ولشد ما تتحقق للفاتنات احلامهن مع الفجر
ومشت تختال بين وصيفاتها وكانت فيهن كالبدر
ومشين باثواب شفافة كالغمام يحجب النور الباهر
وبدأن يملئن السلال من اكمام الزهر الناضر
وكانت أوربا الاميرة تمنح الزهر اريجه العاطر

في الاعالي كان زفس مستلقياً يرقب الأرض ومن فيها
ويبحث عن الجمال في بساتين الأرض وبواديها
فرأى الفتنة ماثلة وغشت عينه بسمة من فيها
والتهب قلب زفس بسهم كيوبيد فترنح ثم استقام
وساعده ايروس وافروديت وزينا له المرام
ولم يثنه دهاء هيرا زوجه، والاله ان رام امراً رام
وتقمص زفس شكل ثور كستنائي اللون يزين قرنه معدن كريم
وبدا وديعاً اليفاً جذب الصبايا إلى عطره البادر كالنسيم
وغنى لاوربا نشيد الحب بخوار عذب ولحن رخيم
وانحنى امامها فاعتلت ظهره العريض فهب طائراً كالريح العليل
يمخر عباب البحر مزهواً بحمله، منتصراً بفارسه الجميل
وخرجت دلافين البحر تحية له وعوناً، تصدح بالابواق والطبول
ومشى على البحر بوسيدون، جدها، رعاية للعاشقين

وارتبكت اوربا وخافت من صورة الدلافين
وامسكت بقرن زفس فأحست بدفء الحب يربط الخافقين

ونادت بأعلى صوتها، انا اوربا، لا ترمني ايها الثور الحبيب
فقال من تحتها وانا زفس العظيم احببتك والحب يفعل العجيب
وكريت وكانت غافية، لم تكن قد رأت بعد عرساً مهيب
ونفخ بالصور ان قامت مدينة ونهضت قارة من العدم
ونفخ بالصور ان اوربا زوج الآلهة قد جاءت من عالم القدم
لتكشف عن قارة لم يكن لها اسم ولم يُعرف لها رسم عند الامم

وهكذا قدمت سورية منذ فجر التاريخ إلى القارة التي لم تكن معروفة بعد اسمها، ولعل هذه الاسطورة تخفي في طياتها مغزى اعمق يتجلى في عملية اكتشاف هذه القارة من تلك الاميرة الفاتنة التي انتقلت على صهوة الالهة من بلادها إلى عالم لم يكن معروفاً، فاكتشفته واعطته اسمها وانجبت من زفس اولاداً، لعل كل واحد منهم انشأ مدينة ودولة فيها بعد.

ولقد حمل الاغريق هذه العقيدة دائماً، ، من أن موطن اسم اوربا هو سورية. وعندما جاؤوا مع الاسكندر المقدوني الى سورية في القرن الثالث ق. م، انشأوا فيها اولاً مدينة اطلقوا عليها اسم (مدينة اوربا) (دوراً اوروبوس) وهي صالحية الفرات المعروفة في محافظة دير الزور

اكتشاف اللون الأحمر

لقد كان اكتشاف اللون الأحمر في سواحل سورية وانتشاره في بلاد الأغريق والرومان، سبباً لاطلاق اسم بلاد الارجوان على هذه المنطقة. وتقول الاسطورة اليونانية ان ابتكار لون الارجوان يعود إلى حورية سورية تدعى تيروس كان قد وقع بحبها هرقل الجبار. وذات يوم كانت تتجول على شواطىء سورية، فاذا بها ترى لوناً احمر ارجوانياً على فم كلبها، الذي تناول الارجوان من صدفة ما. فأعجبها اللون وطلبت من هرقل ان يحضر لها ثوباً بلون

الارجوان، والا فانها ستصده عن حبها. فقام هرقل باحضار اللون الارجواني من الاصداف والنباتات وصبغ به ثوباً وقدمه لها، كان ذلك بداية ظهور وانتشار هذا اللون في العالم.

أسرة سورية تحكم امبراطورية روما

لقد لعبت سورية دوراً كبيراً في العهد الروماني الامبراطوري، فلقد انتقل كثير من السوريين الى روما يحملون معهم ثقافتهم وفكرهم وفنهم. واعتمد عليهم الرومان في كثير من شؤون الثقافة، حتى قال الشاعر الهجاء الروماني جوفينال، منذ عام ١٤٠م، منتقداً هذا التأثير العارم. «ان نهر العاصي اصبح يصب في نهر التيبر منذ زمن بعيد، حاملاً معه لغة سورية وتقاليدها وثقافتها».

وتأكد هذا التأثير عندما استلمت اسرة سورية زمام الحكم في روما وهي عائلة سيفيروس، التي حكمت الامبراطورية من عام ٢١١ ـ ٢٣٥، ثم اعقبها فيليب العربي امبراطور روما الذي ولد ونشأ في شهبا جنوبي سورية.

وتتألف عائلة سيفيروس سبتيموس الليبي من لبدة، وكان يتكلم الفنيقية وتزوج من جوليا دومنا الحمصية التي تتكلم الارامية شقيقة الفنيقية، وكانت جوليا ابنة باسيان الحمصي الكاهن الاعظم في معبد اله الجبل (ايلاغبال) في حمص، وكانت ابنته جوليا على جانب عظيم من الذكاء والجمال والثقافة، وتزوجت من سبتيموس عام ١٧٥م وكان من كبار الموظفين. ثم اصبح امبراطوراً على روما عام ٢١١م، فبنى قصراً على هضبة البالاتين. وكانت زوجته قد فرضت سلطانها اذ رافقت زوجها في انتصاراته وفي حكمه. فمنحتها روما لقب «أم الوطن» ولقب «أم مجلس الشيوخ» ولقب «أم الجيوش» وفتحت أبواب قصرها الى السوريين الذين وفدوا اليها كعلماء ومفكرين وفلاسفة ورجال دين.

ولقد استعانت جوليا دومنا بعدد منهم من أمثال قريبها الفقيه بابينيان ثم

اولبيان وديوجين كاتب التراجم وديو كاشيوس المؤرخ وفيلو سترات السفسطائي.

كما اعتمدت على شقيقتها جوليا ميزا التي جاءت معها من حمص مع ابنتيها الشابتين الجميلتين.

وقد ولدت جوليا دومنا ولدين، الأول باسيان واصبح امبراطورا لروما تحت اسم مارك اوريل أوكارا كالا والثاني جيتا الذي قتله اخوه بعد موت ابيه ليرث مكانه في الحكم.

وعندما قتل ابنها كاراكالا غدراً، حزنت عليه وامتنعت عن الطعام حتى ماتت ودفن رمادها في مدفن (اوغست) في روما باحتفال مهيب.

وجوليا ميزا كانت اكثر تأثيراً في السياسة والعقيدة وتحويل المجتمع الروماني نحو الحياة الشرقية ونشر العادات والتقاليد السورية.

وهي أرملة أحد السوريين ولها منه ابنتان جميلتان هما جوليا سوميا التي تزوجت ابن خالتها كاراكالا. وجوليا ماميا التي تزوجت ابن كاراكالا الامبراطور ايلاغبال.

لقد حملت روما ذكرى الامبراطور كاراكالا بالحمامات الكبيرة التي مازالت آثارها قائمة حتى الان، وهي تمتد على مساحة قدرها أحد عشر هكتاراً، وكانت تتسع لالف وستمائة زائراً، تمارس فيها جميع أنواع الرياضة وتضم مكتبة ضخمة فكانت مركزا ثقافيا رياضيا وليس مجرد حمام للاستحمام.

وقد كانت الحمامات مزينة بالفسيفساء ومكسوة بالرخام المرمر والتماثيل الرائعة، تحيطها الحدائق والمنتزهات والمرافق الاخرى.

ويعتبر كاراكالا من ابرز الاباطرة الرومان الذين تركوا اثارا اجتماعية هامة، اذ اصدر مرسوم كاراكالا الشهير الذي جعل بموجبه جميع سكان روما سواسية يخضعون لقانون واحد ضمن حدود الحرية والحقوق الاساسية التي منحت اليهم. وكان كاراكالا يضرب المثل بتواضعه وحسن معاملته للشعب والجنود، فيعيش معهم ويأكل من أكلهم ويستمع الى طلباتهم ويحل مشاكلهم. ولقد قتل في حران شمالي سورية وهو في ريعان عمره وفي قمة مجده.

ولقد حمل كاراكالا هذا الاسم لأنه يرتدي الكاراكال، وهورداء سوري يشبه العباءة.

بعد موت كاراكالا قتلاً وموت امه جوليا دومنا حزناً عليه، حصلت في روما اضطرابات تزعزع النفوذ السوري على اثرها، الا ان الفرقة الغالية الثالثة المؤلفة من الجنود السوريين المرابطة قرب مصياف، وبتأثير جوليا ميزا اعلنت افتينوس امبراطورا على روما تحت اسم ايلاغبال وهو ابن جوليا سوميا وكاراكالا، وكانت جدته جوليا ميزا قد استردت مكانتها وقيادتها للامور ودعمت الامبراطور الصغير (١٤ عاماً) وابنتها بحامية سورية جديدة.

كان افتينوس قد ورث لقب الكاهن الاعظم في معبد حمص، وكان الحجر الاسود الهرمي الذي يرمز الى الاله ايلاغبال الشكل المقدس في العبادة السورية، فنقل الحجر الاسود الى روما، وأنشأ له معبدا خاصا وميزه على سائر الاشكال المقدسة وبنى قربه مذبحا، وكان الامبراطور نفسه يمارس الطقوس والشعائر في المعبد على الطريقة السورية، ويتبعه في ذلك جميع رجال الدولة.

ثم انشأ معبداً آخر في ضواحي روما، وجعل الحجر الاسود ينتقل بين المعبدين على عربة محلاة بالذهب والاحجار الكريمة وباحتفال رسمي.

ولقد اثار هذا التحول العقائدي المتعصبين من القادة الرومان، فتآمروا على الامبراطور فقتلوه وامه جوليا سوميا وكثيرا من رجال الحاشية السورية، والقو بجثثهم في نهر التيبر (٢٢٩م). وهدموا المعبدين واعادوا الحجر الاسود الى سورية.

لم يكن ايلاغبال قد سمع الى نصائح جدته جوليا ميزا الحكيمة القديرة وكانت تنتظر لحفيدها هذه النهاية المحزنة، وتسعى الى استبداله بحفيدها الاخر الكسيانوس ابن ماميا ابنتها الثانية، الذي اصبح امبراطورا بعد مقتل ايلاغبال، واعتلى العرش تحت اسم اسكندر سيفير.

لقد استمر اسكندر سيفير على علاقته بسورية كسلفه ايلاغبال، وكلاهما كانا يشغلان منصب الكاهن الاعظم في حمص، واستمر ذلك حتى اثناء اعتلائهما العرش.

وكان اسكندر قد اهتم بالناحية الديمقراطية وجعل الامر شورى معتمدا على مجلس المستشارين.

ولعل اعتماده على اعادة القانون والعدل وتركيزه على الأمور الديمقراطية لم يكن يرضي بعض الفئات التي كانت تعيش على المنح والمبزات. فقتلوه في خيمته عام ٢٣٥م هو وامه ماميا وكان حكمه قد أمتد ثلاثة عشر عاما.

الامبراطور فيليب العربي من شهبا

اما فيليب العربي فهو الشخصية السورية الاكثر اهمية والتي وصلت عن جدارة الى قمة الحكم في امبراطورية روما الواسعة الارجاء.

يتصدر منصة عمدة روما في مجلس المدينة ضمن بناء الكابيتول تمثال ضخم للامبراطور فيليب العربي، وهو رمز لتلاقي الشرق بالغرب ورمز لبداية ظهور المسيحية كما قال لي عمدة المدينة.

ويعود الفضل الى هذا الامبراطور السوري في اخراج روما من محنتها التي كانت عليها بعد ان قُضيَ على الاسرة السورية باغتيال اسكندر سيفير ووالدته من قبل المتمردين عام ٢٣٥م. وفي عام ٩٤٤م اختير فيليب ليكون امبراطورا تدعمه الفرقة الغالية السورية، وكان قد عرف بمقدرته القيادية وذكائه وأدبه. وكان انئذ رئيساً لحامية عسكرية في مدينة زيتا واطلق عليه اسم ماركوس يوليوس فيليبوس، وكان ابوه شيخا من شيوخ حوران. وعندما استلم الحكم اهتم بموطنه فجعل بصرى متروبول وانشأ في شهبا كثيراً من المباني الجديدة، المسرح والاقنية والفيليبوم والحمامات والشوارع الرئيسية مما نراه واضحاً حتى يومنا هذا، وحملت شهبا عبر التاريخ اسم فيليبوبوليس.

ويعود الفضل الى فيليب العربي في تحرير المسيحين واعادة ممتلكاتهم وقد وطد الحكم في روما فعقد صلحاً مع سابور الأول ملك الفرس وحارب البرابرة في الدانوب وانتصر عليهم. ثم عاد الى روما لكي يشيد قصراً

ضخماً على هضبة كيليوس. واستعان بالسوريين أقربائه في الحكم، فجعل اخاه قائداً على جيوش الشرق، وزوج شقيقته قائداً على أوربا الشرقية، وكرم والده وقدسه وجعله اله وأقام له معبداً خاصاً أنشأه في شهبا.

منشآت المعمار الدمشقي أبوللودور في روما

عدد من المعماريين السوريين اشتركوا في بناء الاوابد الضخمة في الامبراطورية الرومانية، ذلك ان المعمار السوري كان قد انجز ببراعة خارقة اوابد ضاهت بروعتها اوابد روما، ونحن مازلنا نرى آثار دمشق وأفاميا وتدمر وبصرى وشهبا وآثار بعلبك وجرش، وكلها من بناء المعمار السوري أو الشامي. وقد وصلت الى أعلى مراتب الكمال والروعة المعمارية. ولقد ورث المعمار السوري عن أجداده تقليد انشاء الاقواس والقباب مما لم يضارعه في ذلك معمار آخر، وأخذت العمارة الرومانية فيما أخذت من تقاليد العمارة السورية، بناء القوس والقبة حتى أن قبة البانتيون وهي أشهر قبة في العالم كان قد بناها المعمار السوري أبوللودور الدمشقي Apollodor de Damas. فنحن نعرف ان هذا الصرح الضخم كان قد انشىء عام ٢٧ في عهد اوغست من قبل المعمار فاليريوس ثم أعيد بناؤه بعد أن تهدم، في عهد الامبراطور ادريان عام ١٣٨م. وقد صمم قبته ونفذها أبوللودور الدمشقي الذي اشتهر في ذلك الوقت كأبرع معمار. وترتفع القبة عن الارض ٤٣,٥٠ متراً، ويبلغ قطرها نفس ارتفاعها وليس لهذه القبة رقبة أو نوافذ، بل فتحة عليا قطرها ٩ أمتار. وهي اليوم مدفن للعظماء فيها قبر رافائللو المصور الشهير، وماكيافيلي الفيلسوف.

ان أبوللودور الدمشقي الذي ولد على مايبدو في دمشق عام ٨٠ للميلاد وقد اختص بالعمارة الضخمة، صارت له شهرة واسعة مما دعى الامبراطور تراجان الى استدعائه الى روما لبناء فورم روما، الذي مازالت آثاره واضحة حتى اليوم في عاصمة ايطاليا «روما».

وقد تم انجاز هذا الفورم عام ١١٤م وهو ساحة تحيطها بوائك مخصصة لرجال الحكم والاقتصاد، يتبادلون بها أفكارهم وبضائعهم ويحلون مشاكلهم، وعادة ينشأ في مركز المدينة (المتروبول) مثل هذه الساحة (الفورم) التي أخذت عن الاغريق وتسمى (اغورا).

ولقد أنشأ أبوللودور ايضا منشآت أخرى، وهي قصر للعدل ومكتبتين وبازليك اوليبا وعموداً تذكارياً ضخماً هو عمود تراجان، والذي مازال قائماً حتى يومنا هذا في مدينة روما. وهو عمود كالمئذنة الاسطوانية ارتفاعه ٤٣ متراً وهو مؤلف من ثمانية عشر جزء وداخله سلم لولبي، ويغطى العمود بنقوش بارزة تمثل مايقرب من الفي شخص عدا الآليات ومعدات الحرب، وتمثل مشاهد الجند هذه، حرب تراجان المنتصرة في بلاد داشيا، وفي قاعدة العمود مكان أودع فيه رماد جثة الامبراطور، وقد وضعت في وعاء الذهب. لقد ادهش فن أبوللودور الاباطرة الرومان ، وبخاصة تراجان، وكان صديقاً لأبوللودور فاحتل هذا المعمار السوري في عهده مرتبة عليا من التقدير، وبعد وفاة تراجان عام (١٣٥م) اعتلى العرش ادريان الذي ابتدأ متمسكا برعايته لأبوللودور، فكلّفه ببناء قبة البانتيون، ثم أقام كمهندس للجسور أضخم جسر أنشىء في تاريخ روما وهو جسر ديروجا على نهر الدانوب، فكان معجزة هندسية رائعة، ثم كلفه ببناء معبد كبير، ومات أبوللودور قبل انجازه، وكان موته غامضاً، اثر اختلافه مع الامبراطور. لقد كان أبوللودور قمة من قمم فن العمارة عبر التاريخ، ويحق لنا أن نزهو بعبقرية هذا الفنان المعمار الذي أصبح قدوة فيما بعد، أخذ عنه ميكل انجلو في بناء قصر فارنيزه في فلورنسه .وأخذ عنه المعمار الفرنسي في انشاء عمود فاندوم في باريس أيام نابليون.

أصل الأتيروسك ـ وأصل الفن الرومي

ان انتقال الايتروسك من السواحل السورية وكيليكيا الى شمالي ايطاليا منذ القرن الثامن قبل الميلاد، أصبح أمراً مؤكداً، وان هؤلاء الذين أسسوا حضارة ايطاليا القديمة، كانوا قد أثروا في بناء الحضارة الرومانية ايضا، ومازالت ايطاليا تعتبر منطقة لومبارديا هي مهد الحضارة الأولى التي جاءتهم من سورية.

كذلك فإن الفن الرومي المسيحي الذي استقر في منطقة تقع بين فرنسا واسبانيا وايطاليا وانتشر فيها حاملاً معالم خاصة، هو فن سوري الأصل يؤكد ويعترف به المؤرخون. ولقد كان هذا الفن مقدمة لظهور الفن الغوطي.

سوريّة والمسيحيّة

لقد كان لسورية دور كبير في احتضان المسيحية وفي نشرها في أوربا، ونحن نذكر القديس حنانيا الدمشقي ودوره في انقاذ بولس الرسول. وحنانيا هو من الحواريين، وهو أحد أوائل تلاميذ السيد المسيح الاثنين والسبعين والذين ذكرهم القديس لوقا، وقد قام حنانيا بمسح عيني شاؤول الطرسوسي، وبانقاذ بولس الرسول من محاولة القضاء عليه من اليهود لأنه كان ينشر المسيحية، فاختبأ في أحد البيوت الدمشقية ولعله بيت حنانيا نفسه. ثم تسلل من خلال سرداب الى باب كيسان، وهناك ساعده المخلصون له بالهرب من نافذة الباب، إذ وضع في سل وأنزل من أعلى السور، وقد حوّل المنزل المتاخم للباب الى كنيسة سميت باسم القديس بولس.

والقديس بولس هو الذي نقل الى روما الديانة المسيحية فيما بعد، وهو الذي كتب الانجيل ولأول مرة باللاتينية، وعن طريقه انتشرت المسيحية في جميع أنحاء أوربا.

ولقد أصدر نيرون امبراطور روما الطاغي قانوناً لقمع الحركة المسيحية، وتنفيذاً لهذا القانون قتل بولس بالسيف عام ٦٧م كما قتل القديس بطرس صلباً.

وكانت انطاكية أول مركز للمسيحية، وكان بولس وغيره ينطلقون منها في اعمالهم التبشيرية، وكان من ألمع كهنتها يوحنا الدمشقي فم الذهب. ولابد من القول أن صورة السيد المسيح التي انتشرت في العالم انما وضعت في انطاكية لأول مرة، وأطلق عليها اسم المسيح السوري، وكانت صورة المسيح سابقاً مستوحاة من صورة ابولون.

وفي بداية العهد الأموي، كان قد تقلد الامبراطورية البيزنطية ليون الثالث وهو سوري وكان يطلق عليه اسم الامبراطور العربي لنشأته ولارتباطه بالعقيدة التوحيدية. ولقد عرف في التاريخ بدوره في محاربة عبادة الايقونات التي كانت سارية في الامبراطورية البيزنطية بدعم رجال الدين.

وقد حارب ليون الصور والتماثيل والاقمشة المصورة والميداليات وتعاون مع الجنود ضد الوف الكهنة وعلى رأسهم البابا، وكان ليون الثالث قد ولد في مرعش ويعمل جندياً بسيطاً في سورية ثم أصبح مولى للخليفة الأموي وهو يجيد العربية واليونانية، ودافع مع ذلك عن القسطنطينية عندما حاصرها مسلمة ابن عبد الملك عام ٧١٥م، ومع أنه حماها من الاحتلال فقد بنى فيها مسجداً وفرض على الروم بناء بيت للأسرى العرب بجوار القصر الملكي، وأقام الروم لقائد مسلمة، عبد الله تمثالاً في احدى كنائسهم.

وكان يزيد بن معاوية قد أمر بإزالة الصور الدينية في الكنائس معتبراً ذلك من الوثنية، وتأثر بذلك ليون الثالث فقام بحملته الجريئة للقضاء على الصور، ومنع عبادتها بما يسمى بالايكونوكلازم.

سورية في الأندلس

ان انتقال عبد الرحمن الداخل من الشام الى الاندلس كان تكريساً لانتقال السوريين بثقافتهم وفنهم الى الغرب، هذا الانتقال الذي تم منذ الفتح الاسلامي تحت قيادة طارق بن زياد، ونستطيع اعتبار القرون الثلاثة الاولى في اسبانيا هي فترة بناء الحضارة العربية الاسلامية التي ضاهت الحضارة الاوربية، وكان السوريون هم بناة هذه الحضارة وبهم اقترنت منجزاتها وطابعها.

ولقد انتقل الى الغرب مع السوريين طراز العمارة وبناء عمارة المساجد والمآذن.

ونحن نعرف أن الابراج الأربعة التي انشئت حول الجامع الأموي الكبير هي مآذن اسلامية انشأها الوليد بن عبد الملك. ولقد بقي منها برجان في الجهة الجنوبية انشىء فوقهما مئذنتان في العصر الأيوبي والمملوكي، اما البرجان الشماليان فما زالت اثارهما واضحة ولم ينشأ فوقهما مئذنة جديدة، وهذا الشكل المربع في بناء المآذن انتقل إلى الغرب والى الاندلس وبدا في جميع المآذن وبخاصة مئذنة جامع اشبيلية وجامع حسان في الرباط وجامع الكتبية في مراكش وجامع القيروان، واطلق على هذه المئذنة اسم المئذنة السورية. ولم يقف الامر عند هذا الحد. فمنذ ان انشئت الكنائس والكاتدرائيات الرومية والغوطية، أخذت ابراج الاجراس فيها شكل المئذنة السورية وهو الشكل المربع، ويذكر مؤرخو الفن ذلك لتحديد هوية ومصدر هذه العمارة التي انتشرت في أوربا الغربية. وهكذا لعبت سورية دوراً هاماً في حضارة الغرب، ولابد من التوسع في الحديث عن هذا الدور وتبقى هذه المقدمة حافزاً لذلك.

قائمة الصور

١ - أبجدية أوغاريت
٢ - قبر احيرام وعليه كتابة بأبجدية جبيل (بيبلوس)
٣ - قائمة الأبجديات
٤ - قدموس يعلم أهل طيبه (اليونان) الأبجدية السورية
٥ - رقيم عليه نقش أقدم قطعة موسيقية ١٤٠٠ ق.م
٦ - الوجه الثاني لرقيم القطعة الموسيقية
٧ - القصيدة الملحنة كما جرى تأويلها
٨ - الموسيقي كروكر يعزف القطعة الموسيقية القديمة على قيثارة مشابهة للقيثارة القديمة
٩ - الأميرة السورية أوربه على صهوة ثورهوزفس رب الأرباب في بلاد الأغريق
١٠ - ١١ - جوليا دومنا - الامبراطورة السورية زوجة سبتيم سيفير
١٢ - جوليا دومنا - وو لداها - كاراكالا وجيتا
١٣ - جيتا الأخ الأصغر لكاراكالا
١٤ - الامبراطور كاراكالا (مارك اوريل انتونان) ابن جوليا دومنا
١٥ - اسكندر سفير
١٦ - اسكندر سيفير ابن جايوس مارسيان وامه جوليا ماميا حكم من ٢٢٢ - ٢٣٥م
١٧ - فيليب العربي
١٨ - فيليب العربي من شهبا - امبراطور روما
١٩ - عمود تراجان في روما للمعمار ابو للودور الدمشقي
٢٠ - الاغورا - التي أنشأها ابو للودور الدمشقي في روما
٢١ - ٢٢ - البانتيون - انشأ قبته ابو للودور الدمشقي في روما
٢٣ - الجيرالدا - مئذنة جامع اشبيلية

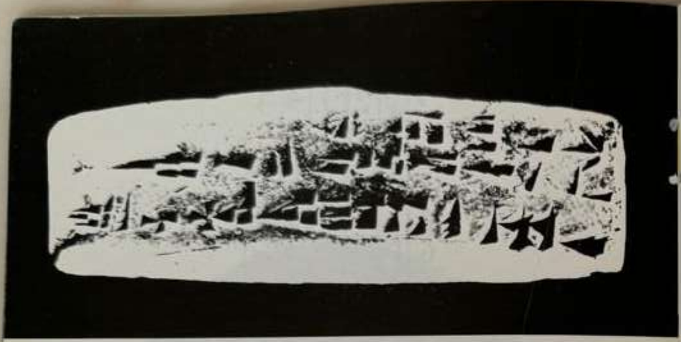

١ أبجدية أوغاريت 1

٢ ـ قبر احيرام وعليه كتابة بأبجدية جبيل (بيبلوس) 2

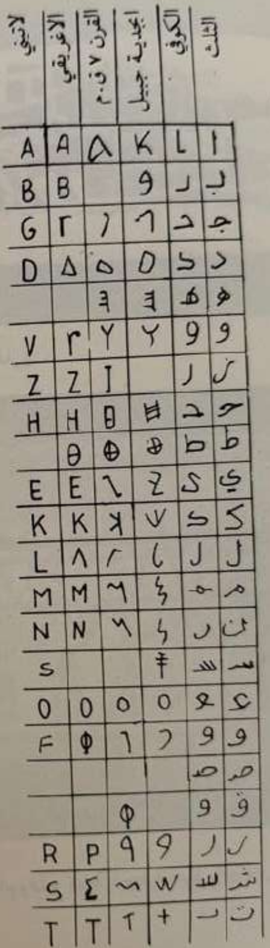

٣ ـ قائمة الأبجديات 3

٤ ـ قدموس يعلم أهل طيبه (اليونان) الأبجدية السورية 4

٥ - رقيم عليه نقش أقدم قطعة موسيقية ١٤٠٠ ق.م 5

٦ - الوجه الثاني لرقيم القطعة الموسيقية 6

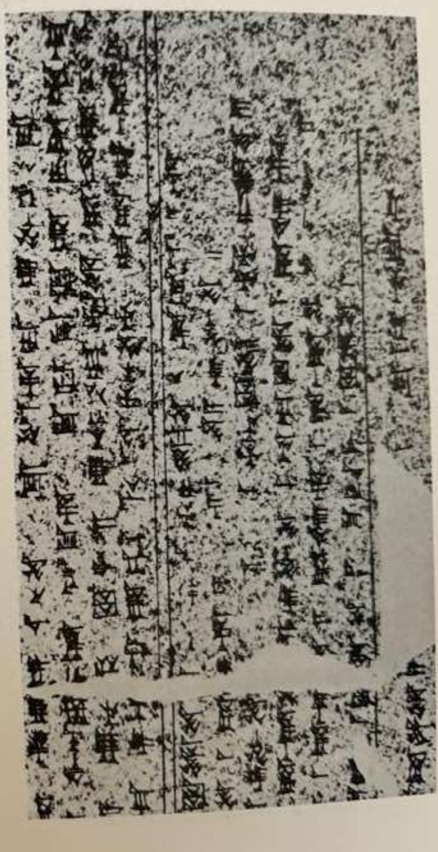

٧ - القصيدة الملحنة كما جرى تأويلها 7

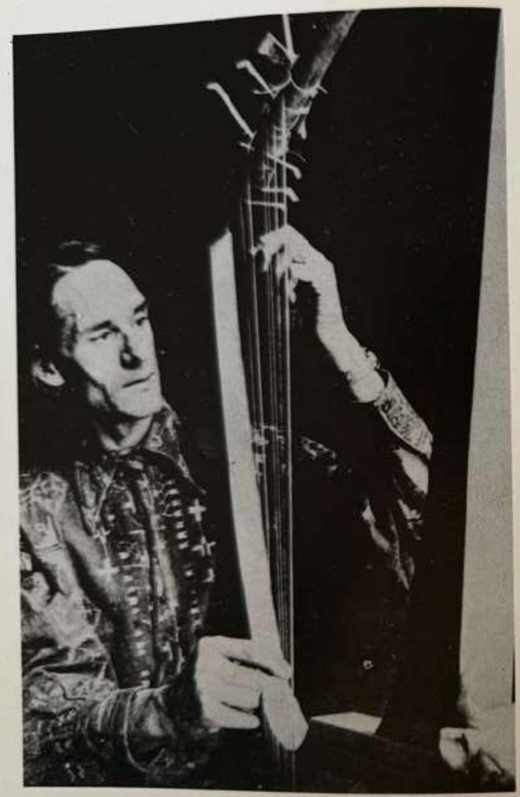

٨ - الموسيقي كروكر يعزف القطعة الموسيقية القديمة على 8
قيثارة مشابهة للقيثارة القديمة

٩ - الأميرة السورية أوربة على صهوة ثور هو زفس رب الأرباب في بلاد الأغريق 9

١٠ - جوليا دومنا - الامبراطورة السورية زوجة سبتيم سيفير 10

١١ ـ جوليا دومنا ـ الامبراطورة السورية زوجة سبتيم سيفير 11

١٢ ـ جوليا دومنا ـ وولداها ـ كاراكالا وجيتا 12